أَهَكَذَا يُخْتَمُ العَامُ ؟ ٣٠ ذي الحجة ١٤٣٥هـ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ! أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ ، وَعَلَى التَّابِعِيْنَ لَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً .

أَمَّا بَعْدُ : فَلا تَزَالُ الأَيَّامُ واللَيَالِي تَتْرَى ، والشُّهُورُ والسُنُونُ تُطْوَى ، والأَعْمَارُ تَتَقَضَّى ، حتىَّ يَأْتِيَ يَوْمٌ فَيَأْذَنَ اللهُ بِخَرَابِ العَالَمِ ، وَتَقُومُ السَّاعَةُ ، وَتَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ! وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! **أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ** : هَا نَحْنُ فِي نِهَايَةِ السَّنَةِ ، نُوَدِّعُ عَامَّاً وَنَسْتَقْبِلُ آخَرَ ، فَلَيْتَ شِعْرِي : مَنْ مِنَّا يُدْرِكُهُ هَذَا الْوَقْتُ فِي العَامِ القَادِمِ وَهُوَ حَيٌّ يُرْزَقُ ؟ وَمَنْ مِنَّا يَأْتِي عَلَيْهِ ذَلِكَ الزَّمَنُ وَهُوَ حَبِيسُ القَبْرِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ؟ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَتَرَكَهَا لأَهْلِهَا يَتَنَاهَبُونَهَا حتَّى تُفْنِيَهُم وَاحِداً بَعْدَ الآخَرِ وَحتَّى تَلْتَهِمَهُم جَمِيعَاً ، قَالَ اللهُ تَعَالَى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : لَقَدْ كَثُرَتْ فِي السَّنَوَاتِ الأَخِيرَةِ بَعْضُ الأُمُورِ الْمُحْدَثَةِ التِي يَقُولُهَا أَوْ يَفْعَلُهَا بَعْضُ النَّاسِ بِمُنَاسَبَةِ نِهَايَةِ السَّنَةِ ، وَالْغَالِبُ عَلَى هَؤُلاءِ أَنَّ غَايَاتِهِمُ جَمِيلَةٌ وَمَقَاصِدَهُم حَسَنَةٌ ، وَلَكِنَّ هَذَا لا يَكْفِي لِتَكُونَ تِلْكَ الأَقْوَالُ صَحِيحَةً أَوْ تِلْكَ الأَفْعَالُ مَقْبُولَةً .

وَلِهَذَا فَاعْلَمُوا **أَيُّهَا الإِخْوَةُ** : أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يُرَادُ بِهِ التَّقَرُّبُ إِلى اللهِ لابُدَّ فِيهِ مِنْ شَرْطَيْنِ لِيَكُونَ عِنْدَ اللهِ مَقْبُولا : وَهُمَا الإِخْلاصُ للهِ وَالْمُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

فَالْعَمَلُ إِذَا فُقِدَ فِيهِ الإِخْلاصُ كَانَ شِرْكَاً ، وَإِذَا فُقِدَتِ الْمُتَابَعَةُ كَانَ بِدْعَةً ، وَالشِّرْكُ ثُمَّ الْبِدْعَةُ هُمَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَأَشَرُّ العُيُوبِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَبَعْضُ النَّاسِ يَعْتَقِدُ أَنَّ صِدْقَ نِيَّتِهِ وَحُبَّهُ لِلْخَيْرِ مُسَوِّغٌ لِكِلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ ! فَيُقَالُ لَهُ : لا ، هَذَا لا يَكْفِي !!! بَلْ لابُدَّ مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ مِن صِحَّةِ الطَّرِيقَةِ ، وَهِيَ الْمُتَابَعَةُ لِرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِذَا كَانَ

السَّلَفُ الصَّالِحُ مِن الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَمَنْ بَعْدَهُمْ يَحْرِصُونَ أَشَدَّ الْحِرْصِ عَلَى تَحَرِّي السُّنَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ : اتَّبِعُوا وَلا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ .

أَيُّهَا الإِخْوَةُ : تَعَالَوْا نَنْظُرُ فِي بَعْضِ مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ فِي آخِرِ الْعَامِ الْهِجْرِيِّ ثُمَّ نَعْرِضُهُ عَلَى السُّنَّةِ فَمَا وَافَقَهَا قَبِلْنَاهُ وَعَمِلْنَا بِهِ ، وَمَا خَالَفَهَا رَدَدْنَاهُ وَنَاصَحْنَا مَنْ يَفْعَلُهُ أَوْ يَقُولُهُ !!!

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِم : اخْتِمْ سَنَتَكَ بِالاسْتِغْفَارِ ، أَوْ اجْعَلْ فِي آخِرِ صَحِيفَةِ هَذَا الْعَامِ عَمَلاً صَالِحَاً ، وَرُبَّمَا أَمَرُوا بِالصَّدَقَةِ أَوْ الصِّيَامِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ !!! وَنَقُولُ لِهَؤُلاءِ : أَثَابَكُم اللهُ عَلَى حُسْنِ قَصْدِكُمْ وَلَكِنْ هَلْ عِنْدَكُمْ دَلِيلُ عَلَى مَا تَقُولُونَ ؟

هَلْ أرشد النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحَابَتَهُ وَحَثَّهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا تَقُولُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ ؟ هَلْ سَمِعْتُمْ عَنْ أَحَدٍ مِن الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَوْ سَلَفِ الأُمَّةِ مِن الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ أَنَّهُمْ رَغَّبُوا النَّاسَ فِيهَا مِثْلَمَا أَنْتُمْ تَفْعَلُونَ ؟

الْجَوَابُ طَبْعَاً : لا

إِذَنْ : فَلْيَسَعْنَا مَا وَسِعَهُم وَلْنَقِفْ مَع هَدْيِهِم فَلَنْ يُصْلِحَ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلا مَا أَصلَحَ أَوَّلَهَا .

أَيَّهَا الْمُؤْمِنُونَ : وَمِن الْمُحْدَثَاتِ آخِرَ العَامِ قَوْلُ بَعْضِهِم : حَلِّلُونِي أَوْ بِيحُوا مِنِّي إِنْ حَصَلَ مِنِّي خَطَأ ! وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : إِنَّ صَحِيفَةَ العَمَلِ تُطْوَى آخِرَ العَامِ ! وَمِن الْمُنْكَرَاتِ : الاحْتِفَالُ بِرَأْسِ السَّنَةِ الْهِجْرِيَّةِ !

فَنَسْأَلُ اللهَ الْهِدَايَةَ لَنَا وَلإِخْوانِنَا الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِن الذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ وَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .

أَعُوذُ بِاللهِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ هَادِيَاً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِيَاً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَاً مُنِيراً .

أَمَّا بَعْدُ فيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ : إِنَّ صِحَّةَ النِّيَّةِ وَتَلَمُّسَ الشَّخْصِ لِلْخَيْرِ لا يَعْنِي أَنَّ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ يَكُونُ صَحِيحاً ، بَلْ لابُدَّ مِن اتِّبَاعٍ وَسُنَّةٍ وَإِلا صَارَ العَمَلُ وَبَالاً عَلَى صَاحِبِهِ وَدَخَلَ فِي بَابِ الْبِدْعَةِ ، واسْتَمِعُوا لِهَذِهِ القِصَّةِ الْعَجِيبَةِ الْغَرِيبَةِ : عَنْ عِمَارَةَ بنِ أَبِي حَسَن الْمَازِنِيِّ قَالَ : كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ صَلاةِ الغَدَاةِ ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ ؟ قُلْنَا : لا ، فَجَلَسَ مَعَنَا حتَّى خَرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعَاً ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفَاً أَمْرَاً أَنْكَرْتُهُ ، وَلَمْ أَرَ

وَالْحَمْدُ للهِ إِلا خَيْرَاً ! قَالَ : فَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ : إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ ! قَالَ : رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمَاً حِلَقَاً جُلُوساً ، يَنْتَظِرُونَ الصَّلاةَ ، فِي كِلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَىً ، فَيَقُولُ : كَبِّرُوا مِائَةً ! فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً ، فَيَقُولُ : هَلِّلُوا مِائَةً ! فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً ، وَيَقُولُ : سَبِّحُوا مِائَةً ! فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَ : فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئَاً ، انْتَظَارَ رَأْيِكَ أَوْ انْتِظَارَ أَمْرِكَ !!! قَالَ : أَفَلا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ شَيءٌ ؟

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ ، حتَّى أَتَى حَلْقَةً مِن تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا هَذَا الذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلَ والتَّسْبِيحَ ! قَالَ : فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكِم ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِكُم شَيْءٌ !

وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ ؟ هَؤُلاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ! والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِن مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ، أَوْ مُفْتَتِحُوا بَابِ ضَلالَةٍ !؟!؟

قَالُوا : وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ !

قَالَ : وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ ! رَوَاهُ الدَارِمِيُّ قَالَ الأَلْبَانِيُ هَذَا إِسْنَادُ صَحِيحٌ

فَانْظُرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُون : كَيْفَ أَنَّ هَؤُلاءِ يَذْكُرُونَ اللهَ وَمَعَ ذَلِكَ وَصَفَهُم هَذَا الصَّحَابِيُّ العَالِمُ بِالضَّلالَةِ ، لأَنَّهُم فَعَلُوا شَيْئاً لَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن التَّحَلُّقِ جَمَاعَاتٍ وَمِن وُجُودِ مُوَجِّهٍ عَلَى كُلِّ حَلْقَهٍ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ ، وَمِن عَدِّ التَّسْبِيحِ بِالحَصَى !

فَهُمْ أَرَادُوا الْخَيْرَ لكَنْ لَمَّا لَمْ يَكُونُوا عَلَى سُنَّةٍ وَقَعُوا فِي الْبِدْعَةِ ، فَهَلْ نَأْمَنُ أَنْفُسَنَا نَحْن ؟ الْجَوَابُ كَلَّا ، لا سِيَّمَا وَأُولَئِكَ فِي عَصْرِ التَّابِعِينَ الذِي هُوَ ثَانِي خَيْرِ القُرُونِ وَمَع هَذَا قَدِرَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِم ، فَفِي هَذَا العَصْرِ مِنْ بَابِ أَوْلَى فَاحْذَرْ يَامُسْلِم وَأَنْقِذْ نَفْسَكَ مِن البِدْعَةِ !

عِبَادَ اللهِ : صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسولِ اللهِ ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّد ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مَحَبَّتَهُ واتِّبَاعَهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً ، اللَّهُمَّ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَأَسْقِنَا مِنْ حَوْضِهِ ، وَأَدْخِلْنَا فِي شَفَاعَتِهِ وَاجْمَعْنَا بِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ أَعَزَّ الإِسْلامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَمِّرْ أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَا حَيُّ يَا قَيُّوم . اللَّهُمَّ وَحِّدْ صُفُوفَهُم وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُم عَلَى الْقُرْآنِ والسُّنَّةِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ . اللَّهُمَّ أَصْلِحْ شَبَابَ الْمُسْلِمِينَ وَاحْفَظْهُم مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، اللَّهُمَّ خُذْ بِنَوَاصِيهِم لِلْحَقِّ واهْدِهِم صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم .

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار .